القيامة وأحد توما

المسيح قام من بين الأموات ووطئ الموت بالموت ووهب الحياة للذين في القبور.

إن حديثنا، يا أحباء، مازال عن القيامة. لقد ظهر الرب يسوع اليوم، في هذا الأحد، الأحد الذي نسميه الأحد الجديد، أحد توما الرسول، ظهر للرسل أولاً ولم يكن توما معهم، فشك توما بقيامته، ولكن الربّ ظهر ثانية وكان توما معهم، فخر أمام السيد الناهض من بين الأموات وسجد قائلاً: ربي وإلهي.

عندما نتحدث عن القيامة يمكننا أن نتكلم الكثير عن قيامة الرب يسوع، ولكن دعونا في هذا القداس الإلهي، أيها الأحباء، نتأمل في أمرين يخصّان القيامة.

الأول: إن القيامة هي تتويج لعمل الله الخلاصي الذي قام به. الإنسان الذي خلقه الرب، منذ البدء، على صورته ومثاله، وأكرمه بأن صنعه على صورته ومثاله، إن هذا الإنسان قد أخطأ وسقط في وحلة الخطيئة، وشوه هذه الصورة التي وضعها الله فيه. ولكن الله المحب البشر الذي خلق الإنسان لا للهلاك، بل لكي أن يتمتع بنوره وبحلاوة العيش معه، وعده بمخلص فأرسل الأنبياء، ومن ثم عند كمال الأزمنة، كما يقول الرسول: " أرسل الرب ابنه الوحيد آخذاً من العذراء مريم جسداً صار إنساناً مثلنا، خلا الخطيئة، وذلك لكي يخلصنا ".

إذاً، الله حقق وعده بأنه سيخلص الإنسان الذي ابتعد عنه. لقد أتى الرب يسوع المسيح وأكمل الأنبياء وتجسد من العذراء مريم، وأخذ منها جسداً، وعاش بين الناس وتصرف معهم وعلمهم، وشفى مرضاهم، وقام بكل ما قام به إلى أن رفعه اليهود على الصليب، فعُلّق على عود بين لصين كمجرم واحتمل كل ما احتمل من آلام، البصاق، اللعنات، الضرب، الهزء، السّخرية، الإهانات، إكليل الشوك، المسامير، الحربة، احتمل كل هذه الإهانات والآلام، ولكن عندما صادفه الموت فإنه داس الموت وانتصر عليه. لقد انحدر إلى الجحيم، ولكن بانحداره إلى الجحيم قد كسّر أبواب الجحيم، ولم يجعل للموت أو لإبليس سلطاناً علينا من بعد.

فالقيامة هي تتويج لهذا العمل الخلاصي. لا نستطيع أن نتكلم عن القيامة بشكل مجرّد لوحده، أو عن الصليب بشكل مجرد لوحده، أو عن التجسد بشكل مجرد لوحده.

هذه هي محبة الله التي أعلنها وكشفها لنا وأراد أن يخلصنا، ولهذا تمم كل الّذي تممه بانحداره من السماء، واتخذه من العذراء مريم جسداً، ومن ثم احتمل الآلام ورفع على الصليب، وصار الصليب رمز خلاص عوض أن يكون رمز لعنة ورمز دينونة وإجرام، وذلك لأن السيد قد رُفع عليه، و بما أنه هو السيد الذي داس الموت، وقام ناهضاً من بين الأموات، وحطم أبواب الجحيم لكي يخلص الجنس البشري، وصعد إلى السماء، وأرسل الروح القدس، وقد قام بكل هذا من أجل خلاصنا، فإن القيامة هي هذا السر العظيم الذي حققّه الرب، لأنه أراد أن يتمّم وعوده من أجلنا، وعوده بأنه سوف يخلصنا ولن يتركنا في سقطتنا، والتي نتجت عن ابتعاد الإنسان عن الله.

الأمر الثاني: لقد قام الرب يسوع بكل ما قام به، هو السيد. نحن نقول إنك الصانع المعجزات الباهرة، نعم، صنع المعجزات الباهرة، شفى المرضى، أقام الموتى، قام هو من بين الأموات، لقد صنع كل هذه المعجزات الباهرة.

لماذا صنع كل هذه المعجزات الباهرة؟ هل قام الله بكل ما قام به لكي يرينا ذاته بأنه هو إله عظيم ومقتدر؟ لا ياأحباء: هو إله عظيم ومقتدر، هو الكلي القدرة والعظمة والإكرام، هو الخالق، هوالسيد لأنه هو الله والسيد. وليس الله بحاجة ليجري معجزات كهذه حتى يثبت لنا، أو يثبت لنفسه، أنّه كلي الإقتدار وكلي العظمة.

قام الله بكل ما قام به من أجل خلاصنا، لأنه أحبنا، الله خلق الإنسان على صورته ومثاله وأراده أن يكون في النور الإلهي. الإنسان أخطأ وابتعد عن الله، وقد كلّف الله هذا الأمرُ غالياً لدرجة أنه بذل ابنه الوحيد بسبب خطايانا، لكي يخلص الإنسان.

لقد قام الله بكل ما قام به من هذه الأحداث الخلاصية لكي يخلصنا حباً بنا، لم يقم به من أجل ذاته، بل من أجل خلاص الإنسان. لذلك، إذا لاحظتم في كل صلواتنا، وفي قداديسنا التي نقيمها في صلوات السحر والغروب، على مدار السنة في كل الأعياد، عندما يختم الكاهن القداس الإلهي، يقول(أيها المسيح إلهنا الحقيقي يامن قام من بين الاموات لأجل خلاصنا)، أو في يوم المعمودية (يامن اعتمد لأجل خلاصنا)، وفي الميلاد(يامن تجسد من البتول لأجل خلاصنا)، لأن الرب قام بهذا الذي قام به من أجل خلاصنا، لأنه أحبنا، لأنه أراد أن يفتدينا. وهنا السؤال المهم الذي يتوجّب على كل واحد منا أن يطرحه على نفسه: القيامة هي تتويج لعمل الله الخلاصي الذي تم من أجلنا، ولكن هل هذا الذي تم من أجلنا، حتى القيامة، هل تم ويفعل فينا نحن البشر هكذا بشكل سحري؟ هل يستطيع الواحد منا أن يقول: لقد أتى الرب يسوع المسيح ونحن خطئنا وأثمنا وأصبحنا نستحق الموت والعقاب والجحيم، ولكن الله أحبنا وأراد أن نكون لا في الجحيم، وإنما في الفردوس من جديد، فأتى إلينا وفتح لنا من جديد طريق الفردوس، وقام من بين الاموات وحطم أبواب الجحيم؟ هل يستطيع الواحد منا أن يقول " جيد أن أجلس، آكل وأشرب وأكون سعيداً ومرتاحاً فالرب يسوع قد فتح لنا الطريق من جديد، وكلنا داخلون إلى الفردوس وكلنا أبناء القيامة "؟

لا يا أحباء، لقد أتى الرب يسوع المسيح طبعاً، وفتح لنا الطريق ولكن علينا نحن أن نسير في هذا الطريق، لأن الإنسان مازالت لديه حريته، وكل واحد منّا يتمتع بهذه الحرية ويستطيع أن يسير في هذا الطريق، طريق الحياة في المسيح يسوع، طريق القيامة، أو في أي طريق آخر يختاره هو. ولهذا فإن كل إنسان سيُدان بحسب أعماله، لأنه مسؤول عن تصرفاته. وهنا يُطرح السؤال: كيف يندرج الواحد منا في هذا السرّ العظيم الذي تم، والذي قمته القيامة؟ كيف يُدرج نفسه في هذا السر؟ كيف يستطيع الواحد منا أن يجعل القيامة فاعلة فيه فيكون وأكون أنا أيضاً ابناً للنور، ابناً للقيامة، وليس ابناً للهلاك أو للظلمة.

الطريق هو الطريق الذي سلكه الرب يسوع، وقد جعل نفسه مثالاً لنا أطاع حتى الموتِ موتَ الصليب، ولأنه أطاعَ حتى الموتِ موتَ الصليبِ أقامه الله الآب ظافراً ومنتصراً. هذا هو الطريق الذي يجب أن نتبعه نحن، طريق الطاعة، طاعة الله حتى الصليب. وهذا هو معنى المعمودية؟ الواحد منا عندما يُغطّس في جرن المعمودية فإن في ذلك دلالة على اشتراكنا في موت المسيح وفي القيامة مع المسيح يسوع. ولهذا علينا نحن أن نسلك درب الصليب، أي أن يموت الواحد منا عن العالم، عن أركان العالم، عن شهوات العالم، عن الخطيئة، عن الرذيلة، أن يسعى الواحد منا في حياته، أن يجاهد، أن يسير هذه المسيرة كإبن لله وللقيامة، كإبن للنور، أن يلبس الإنسان الجديد ويخلع الإنسان العتيق. كلنا نعرف أننا نتحدث في الكنيسة عن آدمَيْن، آدم الأول الذي سقط، الإنسان العتيق، وآدم الثاني الذي هو المسيح يسوع والذي يعطينا الحياة الأبدية.

الواحد منا عليه أن يسير في هذا الطريق، أن يُدخل نفسه في هذا الطريق حتى يجعل سر المسيح فاعلاً فيه، لأنه يستطيع أن يثّبت عمل الله فيه لو أراد ذلك، ويستطيع الواحد منا أيضاً أن يجعل عمل الله غير فاعل فيه ليبعد نعمة الله عنه، إذا أراد.

ولكي يجعل نعمة الله فاعلة فيه عليه أن يندرج في هذا السر العظيم الذي خلاصته الصليب. وعندما نقول كلمة " الصليب " فإننّا نرى فيه الموت ونرى فيه القيامة.

نرى فيه الموت أي الموت عن الخطيئة، ونرى فيه القيامة، الظفر مع المسيح يسوع، عندما ننهض لابسين الإنسان الجديد، المسيح يسوع.

وهذا ما حدث مع توما، عندما ظهر له السيد، وكان لديه شك فقال له تعال ضع يدك في يدي وفي جنبي، وتأكد أني أنا هو الذي قام من بين الأموات. ماذا حدث؟ خرّ وسجد وقال له: ربّي وإلهي! هذه هي الصرخة التي من المفروض عل كل واحد منا أن يصرخها عندما نتكلم عن القيامة " ربي وإلهي " سيدي وإلهي. وأريد أن أعلّق هنا لأقول إنه لم يقل: أنت السيد، أنت الرب والإله، بل قال(ربي وإلهي). لقد سجد هو أمامه، وشعر بأنه سيده هو، وأنه ربه هو.

كل واحد منا عليه أن يجعل من هذا السيد الذي قام من بين الأموات ظافراً " ربي وإلهي "، ربي أنا وإلهي أنا، لأنه إن كان رباً للجميع وإلهاً للجميع فإنني لا أنتفع شيئاً! المهم هو أن أجعل من هذا السيد سيداً لي، ومن هذا الإله إلهاً لي. إنه سيدي عندما أحبه، عندما أعرف أنه السيد الذي أحبنا وأتى إلينا، ومات من أجلنا بسبب خطايانا، وقام ناهضاً لكي يخلصنا، ويرفعنا معه، ويجعلنا أبناء القيامة، فنحبه ونسجد أمامه ونصرخ، كما صرخ توما، ربي وإلهي.

لقد سمعنا الإنجيل يقول: " وأما هذه فقد كتبت لتؤمنوا أنتم بأن يسوع هو المسيح ابن الله، ولكي تكون لكم، إذا آمنتم، حياة باسمه ". آمين.